مجلة الإحياء، المجلد: 21، العدد: 29، أكتوبر 2021، ص - ص: 483 – 492
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

نقض الشرفي للشرفي
وقفات مع تناقضات القراءة الحداثية للتراث والنصوص الدينية
كتابة القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ أنموذجا

Charfi's criticism of Charfi
Stands with contradictions of modernist reading of heritage and religious texts
The issue of writing the Holy Qur'an in the life of .prophet Muhammad (peace be upon him) as a sample

فاطمة الزهرة ضريف[1] **د/ فلاح خير الدين**
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية جامعة وهران 1
مخبر الدراسات القرآنية والمقاصدية
fellah.elkhair.med4@gmail.com drif.fatima@edu.univ-oran1.dz

تاريخ الإرسال: 2020/08/30 تاريخ القبول: 2021/05/04

الملخص:

حرّض على إنشاء هذه المقالة جملة من التناقضات اقتنصتها النظرات من مؤلفات المفكر التونسي عبد المجيد الشرفي، ذلك أن محاولة إعادة قراءة ما جاء في التراث وما تعلّق بالسنّة والكتاب، وفق مناهج وآليات غربية وانطلاقا من بواعث ومقاصد مُبيّتة، لموقع في التناقضات ومنتج للتخرصات ولابد.

ومن تلكم التناقضات التي وقع عليها النظر، مسألة: كتابة القرآن الكريم في حياة سيد البشر ﷺ، حيث راوح فيها قلم الشرفي بين النفي والإثبات، فسيقت هذه الورقات للوقوف على هذا التناقض وبيان مورده، والفصل في حقيقته وعرض أدلته. ذلك أن سمة التناقض في نتائج البحث العلمي لعلاّمة على عوار منهجه، ومدعاة للشك في نزاهته وموضوعيته، ومن أهم ما خلُص إليه البحث: أن مراوحة الشرفي بين القول بكتابة القرآن في حياة النبي تارة ونفيه أخرى مرده سببان: فأمّا نفي الكتابة فطريق للتشكيك في سلامة القرآن من الزيادة والنقصان، وأما إثباتها فدفعا للاحتجاج بسنّة العدنان.

الكلمات المفتاحية: القراءة الحداثية؛ كتابة القرآن الكريم؛ التناقض؛ عبد المجيد الشرفي.

Abstract:

The reason for the creation of this article is a set of contradictions observed from the books of the Tunisian thinker Abdelmajid Charfi. Attempting to re-read what came in the heritage and what is related to the Sunnah and Qur'an, according to Western methods and mechanisms and based on the precursors and purposes, will undoubtedly result in contradictions and producer of fabrication.One of those remarkable contradictions is the issue of writing the Holy Qur'an in the life of prophet Muhammad (peace be upon him). Where the author fluctuated between the negation and confirmation. These papers have been drawn to identify this contradiction and indicate its resources, and to decide on its truth and present its evidence. The contradiction in

[1] المرسل المؤلف.

the results of scientific research is a sign of the invalidity of his methodology, and it calls into question its integrity and objectivity. One of the most important findings of the research: that the Charfi's fluctuation between saying the writing of the Qur'an and his denials due to two reasons: The denial of writing is a way to question the integrity of the Koran from distortion, and the confirmation of writing the Qur'an is to deny the invocation of the Sunnah.
Key words: Modernist reading; Writing the Holy Qur'an; Contradiction; Abdelmajid Charfi.

مقدّمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن، وقدّر بأن تساعد على حفظه القلم واللّسان، وصلاة وسلاما على خير البشر، ما دافع عن رسالته صحبٌ وتبعٌ ومُقتفي أثر. وبعد:

فقد امتلأت الأسواق بمؤلفات فكرية حداثية تُعادي كل مسلّمة يعتقدها المسلم في قرآنه أو سنته، وتغالي بالقول أنّها السبب وراء تخلّفه ورجعيته، وتعالت الأبواق تُنادي بأن زوال الخطب في اتباع علوم ومناهج الغرب.

فإن أنت ألقيت السمع، أو أسلمت النظر طلبا للنفع، ألفيت من التناقضات وكثرة التخرّصات ما يتعجب منه ذو لب، ويُسوّد الأوراق طمعا في نقده ودحضه كلّ محب.

ومن تلكم التناقضات التي وقع عليها النظر، مسألة: كتابة القرآن الكريم في حياة سيد البشر ﷺ، حيث راوح فيها قلم المفكر التونسي عبد المجيد الشُرفي بين النفي والإثبات، وهذا التناقض الصارخ منه في هذا الأمر المهم ليدعو إلى إماطة اللّثام - بعد عرضه- عن مورده وبيان صحته من خطئه.

إشكالية البحث:

تحاول الدراسة الإجابة على الأسئلة التالية:

ما معالم الرؤية الشرفية لمسألة كتابة القرآن الكريم في حياة خير البرية ﷺ، وماهي أدلتها؟

وما المورد الذي أوقع المؤرخ الناقد في غيابة التناقض الصارخ في هذه المسألة؟

أهمية البحث:

لا شك في أن كتابة القرآن الكريم في حياة النبي j حجر أساس للتمهيد لحفظ القرآن، وفي نفيها تشكيكٌ في سلامته من الزيادة والنقصان. لذلك سعت هذه الدراسة لعرض الرؤية الحداثية الشرفية لهذه المسألة وبيان مقاصدها ومن ثم نقضها انتصارا لكتاب الله عز وجل.

أهداف البحث:

ونرمي من خلال هذه المقالة تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

- التعريف بعبد المجيد الشرفي، والتعرّف على مشروعه الفكري.
- الإلماع إلى رؤية الشرفي المتناقضة لمسألة كتابة القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ.
- استجلاء مورد التناقض، والوقوف على مراميه.
- إيراد حقيقة المسألة، وبيان أدلتها.

الدراسات السابقة

إنّ إنكار كتابة القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ من قبل الحداثيين منهج معهود عند الأغلبية منهم، وتعددت الدراسات التي تناولت هذه النقطة بالنقد، على وجه يصعب معه العد، لكن الذّي يميّز هذه الدراسة عن مثيلاتها، هي أنها كشفت عن تناقض المفكر الشرفي في هذه المسألة، ذلك أنّه جمع بين القول بنفي

كتابة القرآن الكريم تارة، وبين إثباته أخرى، وبحثت في الداعي الذي أوقع هذا المفكر في هذا التناقض، فبالتالي هي ترد على الشرفي بالشرفي نفسه أوّلا، مكرسة منهج: "من فمك أدينك"، ثم بالأدلة المتناثرة في كتب التراث، وفي هذا المنهج تبيان لهشاشة الفكر الحداثي وتهافت مناهجه، وبالتالي تناقض نتائجه.

منهج البحث:

جمعت الدراسة بين:

المنهج الوصفي: وذلك من خلال التعريف بعبد المجيد الشرفي ومشروعه الفكري، ومن خلال عرض رؤية عبد المجيد الشرفي في مسألة كتابة القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ.

المنهج التحليلي: من خلال النظر في الأدلة التي استند عليها الشرفي في مسألة كتابة القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ، والنتائج المترتبة عنها.

المنهج النقدي: من أجل بيان حقيقة كتابة القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ، وعرض الأدلة الصحيحة للمسألة.

خطة البحث:

انتهجت في سبيل تحقيق المقصود من البحث الخطة التالية:

المحور الأول: التعريف بعبد المجيد الشرفي وبمشروعه الفكري.

المحور الثاني: الرؤية الشرفية لكتابة القرآن الكريم في حياة خير البرية ﷺ.عرض التناقض وبيان مورده.

المحور الثالث: كتابة القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ، الحقيقة وأدلتها.

المحور الأول: التعريف بعبد المجيد الشرفي وبمشروعه الفكري

أولا: التعريف بعبد المجيد الشرفي[1]

مولده، نشأته، مسيرته العلمية

ولد المفكر التونسي عبد المجيد الشرفي في 24 جانفي 1942 بمدينة صفاقس، تحصل على الإجازة في اللغة والآداب العربية بتونس سنة 1963 وحاز الرتبة الأولى في مناظرة التبريز بباريس سنة 1969، وقد ناقش رسالة دكتوراه الدولة في الآداب بنجاح في تونس سنة 1982. شغل عديد الوظائف بدءًا بالتدريس في التعليم الثانوي ليرتقي في مختلف الرتب بالتعليم العالي وصولا إلى رتبة أستاذ تعليم عال في الحضارة العربيّة والفكر الإسلامي بكلية الآداب بجامعة منوبة (1986-2002). اختير عميدا لكلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بتونس (1983-1986) وترأس عددا من لجان الانتداب والمناظرات مثلما تولّى رئاسة اللجنة القطاعيّة لإصلاح برامج العربيّة بوزارة التربية (1987-1988).

مشاركاته العلمية

ولعبد المجيد الشرفي أيضا مشاركة في مجموعة من المجالس والهيئات العلمية من قبيل عضويته في المجلس الاستشاري لمركز الدراسات الإسلاميّة بالقيروان (1992) والمجلس التنفيذي لمنظمة الإيسسكو (الرباط) (1992-1993) والمجلس العلمي للأكاديميّة المغاربيّة للعلوم بطرابلس (1993) والهيئة العلميّة للمعهد العربي لحقوق الإنسان (1994) ومجلس المؤسسة العربيّة للتحديث الفكري (جنيف 2003-2006)... فضلاً عن عضويته في هيئة التحرير أو الهيئة الاستشاريّة بمجلات إيبلا (تونس) وإسلاميّات-مسيحيّات (روما)، ودراسات مغاربيّة (المغرب) وآداب القيروان (القيروان).. وقد أدار سلسلة "معالم الحداثة" الصادرة عن دار الجنوب (تونس) وأشرف على إصدار سلسلة الإسلام واحدا ومتعددا. واختير صاحب كرسي اليونسكو للأديان المقارنة بجامعة منوبة (1999-2003). وأشرف الشرفي على عدة

أطروحات ورسائل بحث في الجامعة التونسية، إضافة إلى مشاركته في كثير من الندوات والملتقيات والتظاهرات العلمية الدوليّة والمحلّيّة.

مؤلفاته

ولعبد المجيد الشرفي مؤلفات عدّة نذكر منها: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/العاشر (1986)، الإسلام والحداثة (1990)، لبنات (1994)، الإسلام بين الرسالة والتاريخ (2001)، مرجعيّات الإسلام السياسي.

ثانيا: المشروع الفكري لعبد المجيد الشرفي

يهدف مشروع عبد المجيد الشرفي إلى قراءة ما جاء في هذا التراث من منظور حديث أي على ضوء المعرفة التي بلورتها علوم الإنسان والمجتمع في القرنيين الأخيرين بالخصوص وعلى ضوء القيم التي أفرزتها الأوضاع الحضارية التي تعيشها المجتمعات البشرية قاطبة[2]. ذلك أنه يرى أن القضية المطروحة بحدة على الفكر الإسلامي في نظره هي مدى استجابته لمقتضيات الحداثة بكل تجلياتها المادية والمعنوية العلمية والتقنية كما الفكرية والفلسفية علما منه بأن هذه الاستجابة ضرورة ملحة لا ترف ذهني[3].

فبالتالي تعتبر الحداثة بتجّلياتها المختلفة، وألوانها المتعددة هي الحاكمة على التراث الفكري للأمة الإسلامية، لا هو حكما عليها بالصلاح أو الفساد.

والتفسير القرآني في نظر الشرفي، هو من تلك المجالات التي تنتظر الجهود المتضافرة كي تنهض بتخليصها هي كذلك مما ران عليها من المواقف والتأويلات والمعارف التي تجاوزها الزمن[4].

بل ويؤكد على إعادة النظر في المسلمات التي تتعلق بالقرآن الكريم رأسا، فيعلّق على أحد التفاسير التي أهملت هذا الجانب قائلا: فتفسير المنار أبعد ما يكون عن التفسير النقدي وليس فيه أدنى إعادة نظر في المسلمات المتعلقة بالترتيب الرسمي والتعبدي للسور والآيات ومواطن الإشكال في عدد من التعابير القرآنية، ويتبنى بالطبع المفهوم التقليدي للوحي الذي يكون فيه الرسول مجرد مبلغ سلبي للرسالة الإلهية، فلا مجال فيه لأثر ما لشخصية النبي وللظروف التاريخية التي أحاطت به ولا لمشكلة الانتقال من الكلام الإلهي المفارق إلى الكلام البشري المحدود بالضرورة[5].

هكذا يرى الشرفي ضرورة إعادة النظر في المسلمات التي اعتقدها المسلمون لقرون، ولزوم وضعها على محك النقد، استنادا إلى القواعد والضوابط التي أنتجتها الحداثة في هذا الزمن.

ومن تلك المسلمات، كتابة القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ، وهو ما سنقف عنده في المحور الموالي.

المحور الثاني: **الرؤية الشرفية لكتابة القرآن الكريم في حياة خير البرية ﷺ، عرض التناقض وبيان مورده**

أ- عرض التناقض: من جملة المسائل التي تناولها الشُرفي بإعادة القراءة والنظر، كتابة القرآن الكريم في حياة سيد البشر ﷺ، فحدث أن أسفرت قراءته تلك على نتيجتين متناقضتين لا يمكن الجمع بينهما بحال.

أما الأولى فأن القرآن الكريم لم يُكتب في حياة النبي ﷺ، بل اقتصر في تبليغه على الطريقة الشفوية حصرا، يُبلّغه النّبي ﷺ لصحابته كما أقرأه جبريل عليه السلام، ويتناقله الصحابة رضي الله عنهم فيما بينهم شفاها، أما كتابة القرآن الكريم فكانت بُعيد وفاته ﷺ بإشراف من الصحابة رضي الله عنهم، يقول الشرفي: حيث لم تدون التوراة إلا بعد قرون عديدة من موت موسى وإثر الأسر البابلي ولم يدون الإنجيل إلا في روايات مختلفة لم تحتفظ منها الكنيسة إلا بأربع وامتزج فيها ما بلغه عيسى بأخباره وكرزاته، وبينما دونت رسالة محمد بعيد وفاته ﷺ فصل فيها بين ما بلغه وما تعلق بسيرته، فتوافرت في المصحف من ضمانات الصحة ما لم يتوافر لما دون من الرسالتين السابقتين، فإن ذلك لا يعني اختلافا جوهريا في نوعية الرسالات

الثلاث وفي المشاكل التي يثيرها التعامل معها، لا سيما بعد انتقالها من الشفوي إلى المكتوب، من القرآن إلى المصحف[6].

هكذا يُقرؤنا الشُرفي أن مسألة نقل القرآن الكريم وتبليغه -كغيرها من الكتب المقدسة السابقة- تردّدت بين سمة الشفاهة وسمة الكتابة تفصلُ بينهما مدة. وعن الاستدلال لهذه النتيجة فلم يذكر لنا الشُرفي من الأدلة النقلية خبرا، ولم يأت من الشواهد التاريخية برأوة.

وهذا التفريق منه بين المرحلة الشفوية والكتابية، جعله يفرّق بين تسميتن لكلام الله عز وجل: فالقرآن يُطلق على ما بلّغه النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم، حصرا.

والمصحف يُطلق على ما جمعه الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي ﷺ، وبالتالي لا ترادف هناك بين القرآن والمصحف كما هي نظرة المسلمين.

بينما نجده بعد صفحات معدودات من هذا التصريح، يأتي بما ينقضه رأسا بقلم صريح فيقول: «إن شأن الحديث لعجيب حقا فلقد احتفظ هو ذاته بما يفيد نهي الرسول عن تدوينه، وأمره بألا يُكتب عنه سوى القرآن، أي بما ينسف مشروعيته من الأساس»[7].

ها هو الشرفي من خلال هذا الشاهد يصرّح بكتابة الصحابة للقرآن الكريم بأمر منه من النبي ﷺ، بل ويزيد في تعليل أمر النبي ﷺ بكتابة القرآن قائلا: أراد النبي أن يكون القرآن وحده النبراس الذي يهدي المسلمين في حياته وبعد مماته، وألا تكون لأقواله هو صبغة معيارية ملزمة... »[8].

وها هو قلمه يجمع بين التدليل والتعليل لكتابة القرآن الكريم في حياة الخليل ﷺ. فأما الدليل الذي يقصده: عن أبي سعيد الخدري: لا تَكْتُبُوا عَنِّي، ومَن كَتَبَ عَنِّي غيرَ القُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ، وحَدِّثُوا عَنِّي، ولا حَرَجَ، ومَن كَذَبَ عَلَيَّ، قالَ هَمّامٌ: أحْسِبُهُ قالَ، مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ[9]، وأما التعليل الذي يطرحه: فهو الاهتداء بنور الآيات، والاقتداء بخبر السماء في حياته ﷺ، وبعد الممات.

فلا مناص بعد هذا العرض من الكشف عن المورد الذي أوقع المفكر الناقد في غيابة التناقض الصارخ.

ب- **بيان مورد التناقض:** بالعودِ إلى ذينك الشاهدين اللذين أوردناهما تدليلا على رؤية الشرفي المتناقضة لكتابة القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ، نجد أن في كل منهما قطعة تدل على مرام الشرفي من هذا الخلط ومقصده من ذلك اللغط.

فأما القطعة الأولى من الشاهد الأول فقوله: وبينما دونت رسالة محمد بعيد وفاته ﷺ، فصل فيها بين ما بلغه وما تعلق بسيرته، فتوافرت في المصحف من ضمانات الصحة ما لم يتوافر لما دون من الرسالتين السابقتين، فإن ذلك لا يعني اختلافا جوهريا في نوعية الرسالات الثلاث وفي المشاكل التي يثيرها التعامل معها، لا سيما بعد انتقالها من الشفوي إلى المكتوب، من القرآن إلى المصحف[10].

والشاهد الدقيق من القطعة قوله: ... وفي المشاكل التي يثيرها التعامل معها، لا سيما بعد انتقالها من الشفوي إلى المكتوب، من القرآن إلى المصحف.

والذي يعنيه الشرفي، أن المدة الفاصلة بين مرحلة التبليغ الشفوي ومرحلة الجمع الكتابي مدعاة لإشكالات متوقعة كحصول سهو أو نسيان أثناء عملية تدوين المسموع، مما قد يُفقد عملية جمع القرآن الكريم بين دفتين من لدن الصحابة رضي الله عنهم المصداقية التامة. وليس هذا من الحق في شيء على ما سنرى لاحقا.

ويستدل الشرفي أيضا على التشكيك في سلامة القرآن الكريم ببعض الآثار الواردة في كتاب الإتقان للإمام السيوطي[11]، وهذا الشك عنده انتقل من مرحلة التنظير إلى مرحلة التطبيق حيث أصدر كتاب المصحف وقراءاته والذي يعتبر طبعة انتقادية للنص القرآني الذي بين أيدي المسلمين اليوم [12].

فنفيه هاهنا لكتابة القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ، يخدم دعواه بالتشكيك في وثاقة نقل القرآن الكريم.

وأما القطعة الثانية من الشاهد الثاني فقوله: إن شأن الحديث لعجيب حقا فلقد احتفظ هو ذاته بما يفيد نهي الرسول عن تدوينه، **وأمره بألا يُكتب عنه سوى القرآن**، أي بما ينسف مشروعيته من الأساس[13].

قراءة الشرفي للحديث[14]:

يستدل الشرفي من خلال الحديث على ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: نهي النبي ﷺ، عن كتابة الأحاديث، وذلك قوله: لا تكتبوا عني.

المسألة الثانية: أمره بكتابة القرآن، وذلك قوله: ومَن كَتَبَ عَنِّي غيرَ القُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ.

وزاد الشرفي المسألة بسطا، بأن التمس لها علة ومقصدا على ما أسلفنا.

المسألة الثالثة: الاستدلال بالحديث على نسف الاحتجاج بسنة النبي ﷺ.

لكن وهو يحاول من خلال الحديث إثبات مخالفة أمر النبي ﷺ في النهي عن كتابة الحديث باستفاضة، واقتصار الأمر منه على كتابة القرآن فقط، راح ينقض ما سبق من دعاويه بنفي كتابة القرآن في زمن النبي ﷺ بملئ يده.

فلا نملك بعد هذا التصريح منه إلا أن نتعجب من إقراره بكتابة القرآن الكريم بأمر من الرسول ﷺ، ونتبيّن علّة هذا الإقرار بكونها سبيل لهدم الاحتجاج بسنّة المختار ﷺ.

وما الإلحاح منه إذا على الفصل بين مرحلتين من مراحل نقل القرآن وتبليغه، إلا تمهيدا للتشكيك في سلامة القرآن من الزيادة أو النقصان، وما الإقرار منه بكتابة القرآن إلا طريق للقول بعدم حجية السنة النبوية.

تلك هي شنشنة أغلب الحداثيين، إثبات الحقائق متى ما وافقت معتقداتهم الباطلة، وإنكارها إن هي خالفت أهواءهم المذمومة.

ومؤلفات الشرفي ملأى بالتصريحات والتلميحات الباطلة والمزيفة، فلا بأس أن نفصل في القول الحق، المتوج بالبرهان الصدق حول مسألة كتابة القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ.

المحور الثالث: كتابة القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ، الحقيقة وأدلتها

حقيقة المسألة: إنّ القاصد لخزائن التراث بحثا عن حقيقة المسألة، ليجدُها ملأى بالشواهد الصحيحة، والأدلة الصريحة على كتابة القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ، على ما سنسوق في هذا المحور، بل وقلمُ الشُرفي نفسه كفى ووفى بأن ساق بعض الدّليل وأردفه بالتعليل[15].

أدلتها:

من التسميات التي أطلقها الله عز وجل على كلامه إضافة إلى القرآن، لفظ الكتاب[16]، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: 29).

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 2)، وفي هذا التنويع مراعاة لأمرين، وإشارة إلى لطيفتين: فروعي في تسميته قرآنا كونه متلوا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من

حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى[17].

فأشار الله عز وجل بلفظ الكتاب إلى ضرورة كتابته، فما كان لسيّد البشر ﷺ، إلاّ المبادرة والامتثال لكتابة القرآن.

ومن صريح الشواهد على كتابة القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ، ما رواه البخاري: عن البراء بن عازب: لَمّا نَزَلَتْ: لا يَسْتَوِي القاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُجاهِدُونَ في سَبيلِ اللَّهِ، قالَ النبيُّ ﷺ: ادْعُ لي زَيْدًا ولْيَجِئْ باللَّوْحِ والدَّواةِ والكَتِفِ - أوِ الكَتِفِ والدَّواةِ - ثُمَّ قالَ: اكْتُبْ لا يَسْتَوِي القاعِدُونَ وخَلْفَ ظَهْرِ النبيِّ ﷺ عَمْرُو بنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الأعْمى، قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ فَما تَأْمُرُنِي، فإنِّي رَجُلٌ ضَرِيرُ البَصَرِ؟ فَنَزَلَتْ مَكانَها: لا يَسْتَوِي القاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُجاهِدُونَ في سَبيلِ اللَّهِ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ[18].

وفي هذا الشاهد دليل على اتخاذه ﷺ كتابا للوحي، ومسارعته لحفظ ما نزل من الآيات فيما توافر وقتئذ من أدوات.

«وللفورية في تسجيل الوحي بالغة القيمة إلى أقصى حد، ذلك أن الفورية تعني هنا أن الذي كتب بين يدي النبي j فور نزوله هو عين ما أوحي به تماما، حيث إن الفورية لا تدع أية فرصة لافتراض أن يكون ما كتب هو مما يسره رسول الله ﷺ للمتلقين عنه في قوله إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه من قراءة كلمة أو صيغة لها بدلا من كلمة أو صيغة أخرى بمعناها مثل مضوا فيه بدلا من مشوا فيه وأوصى بدلا من وصى إذا كان هناك مقتض من نسيان أو اختلاف لهجة أو سنة من السنن اللغوية وعليه فإن ما سجل بين يدي النبي ﷺ هو عين ما نزل به جبريل على النبي j لم يمس بأي تصرف بشري ثم هذا الذي كتب بين يدي النبي ﷺ هو عين ما سجل في جمع أبي بكر، ولكن زيد في توثيقه بالمطابقة بينه وبين ما تلقى عن الرسول ﷺ ولم يسجل ما علم أنه نسخت قراءته»[19].

وعن زيد بن ثابت: كنتُ أكتبُ الوحيَ لرسولِ اللهِ ﷺ وكان إذا نزل عليه أخذَته برحاءُ شديدةٌ وعرقَ عرقًا شديدًا مثلَ الجمانِ ثم سُرِّيَ عنه فكنتُ أدخلُ بقطعةِ العُسبِ أو كِسَرِه فأكتبُ وهو يملِي عليَّ فما أفرغُ حتى تكادُ رجلي تنكسرُ من ثِقَلِ القرآنِ حتى أقولَ لا أمشِي على رجلِي أبدًا فإذا فرغتُ قال اقرأْه فأقرأَهُ فإن كان فيه سَقطٌ أقامه ثم أخرجُ به إلى الناسِ[20].

وهذا الحديث يدل على شدّة احتياطه ﷺ والتأكد من كتابة القرآن على نحو ما أملاه.

ومن مجموع هذه الشواهد وغيرها نعلم يقينا أنّ «الرسول ﷺ، قد اتخذ كتابا للوحي، كلما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته، مبالغا في تسجيله وتقييده. وزيادة في التوثق والضبط والاحتياط في كتاب الله تعالى، حتى تظاهر الكتابة الحفظ ويعاضد النقش اللفظ، وكان هؤلاء الكتاب من خيرة الصحابة، فيهم أبو بكر، وعمر وعثمان وعلي ومعاوية وأبان بن سعيد وخالد بن الوليد وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن قيس، وغيرهم[21].

وأمّا السبب الباعث على كتابته في عهد النبي ﷺ:

1- معاضدة المكتوب للمحفوظ لتتوفر للقرآن كل عوامل الحفظ والبقاء، ولذا كان المعول عليه عند الجمع الحفظ والكتابة.

2- تبليغ الوحي على الوجه الأكمل؛ لأن الاعتماد على حفظ الصحابة فحسب غير كاف؛ لأنهم عرضة للنسيان أو الموت، أما الكتابة فباقية لا تزول[22].

الخاتمة

بعد هذه الوقفة المقتضبة مع القراءة الحداثية الشُرفية لكتابة القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ، نخلص إلى أن:

- قراءة الشُرفي النقدية لكتابة القرآن في حياة النبي ﷺ، قد أفضت إلى تناقض صارخ في المسألة.
- فراوح قلمه بين نفي أن القرآن قد كتب في حياته ﷺ، بل اقتصر النقل والتبليغ على الصورة الشفوية حصرا.
- أما كتابة القرآن فقد كانت بعيد وفاته ﷺ.
- و بين إثبات أن القرآن قد كتب في حياته ﷺ، وبأمر منه ﷺ.
- وعن المورد الذي أوقعه في هذا التناقض، الرغبة المسبقة والنية المضمرة في تحميل الحقائق ما لا تحتمل وتقويل التاريخ ما لم يقل....
- فدعاه إلى نفي كتابة القرآن في حياته التشكيك في سلامة القرآن من الزيادة والنقصان.
- ونحاه إلى إثبات قراءة القرآن الكريم في حياته هدم الاحتجاج بسنة النبي ﷺ.
- على أن الأدلة النقلية والشواهد التاريخية ملأى بعشرات النصوص الدالة على كتابة القرآن في حياة النبي ﷺ، ولا ينكر ذلك إلا مكابر.
- قراءة الشرفي الحداثية قراءة تنكر مناهجها متى ما خالفت هواها، وكفى بهذا دليلا على فسادها.
- مما يورث في أذهان العامة والخاصة، أن قراءته للتراث قراءة مغرضة ترمي إلى زعزعة المسلمات وإنكار المعلومات، والله المستعان.

التوصيات

- ✓ توجيه جهود طلبة الدراسات العليا نحو الانتصار للقرآن الكريم.
- ✓ إقامة الندوات والمؤتمرات التي تُعنى بالقراءات الحداثية للقرآن الكريم عرضا ونقدا.
- ✓ إفراد مقياس يُعنى بتبصير طلبة العلم بمنهجية الرد على الشبهات الفكرية المعاصرة.

المصادر والمراجع

1- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (ط1)، 1422هـ.

2- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ط ت).

3- عبد المجيد الشرفي، لبنات، تونس، دار الجنوب للنشر، تونس، (دط)، 1994م.

4- عبد المجيد الشرفي، تحديث الفكر الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، (ط2)، 2009م

5- عبد المجيد الشرفي، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (ط1)، 2001، (ط2)، 2008م.

6- عبد المجيد الشرفي وآخرون، في قراءة النص الديني، الدار التونسية للنشر، (ط2)، 1990م.

7- محمد بن حجر القرني، موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام، الرياض، البيان مركز البحوث والدراسات، الرياض، (ط1)، 1434هـ.

8- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، اعتنى به وخرج أحاديثه: عبد الحميد الدخاخني، المملكة العربية السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 1997م-1417هـ، (ط2)، 2000م-1421هـ.
9- محمد حسن حسن جبل، وثاقة نقل النصص القرآني طنطا، دار الصحابة للتراث، (د ط ت).
10- أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، حققه وخرج أحاديثه: حسين سليم أسد الدّاراني، دار المأمون للتراث.
11- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي وشركاؤه، (ط3)، (د ت).
12- محمد محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، المكتبة العربية السعودية ، دار اللواء، الرياض، (ط3)، 1407هـ-1987م.

الهوامش:

1- 5 ديسمبر، 2015م، بقلم قسم التحرير، تاريخ زيارة الموقع: 2020/24/8م، الساعة 11و 37د.
https://www.mominoun.com/articles /3393-الشرفي-المجيد-عبد

[2]- عبد المجيد الشرفي، لبنات، تونس، دار الجنوب للنشر، تونس، (دط)، 1994م، ص163.

[3]- عبد المجيد الشرفي، تحديث الفكر الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت ـلبنان، (ط2)، 2009م، ص5.

[4]- تحديث الفكر الإسلامي، (م ن)، ص6.

[5]- عبد المجيد الشرفي، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (ط1)، 2001، (ط2)، 2008م، ص 68.

[6]- الإسلام بين الرسالة والتاريخ، (م ن)، ص44.

[7]- الإسلام والتاريخ، (م ن)، ص176 وما بعدها.

[8]- الإسلام بين الرسالة والتاريخ، (م.ن)، ص176 وما بعدها.

[9]- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربين بيروت، (د ط ت).،كتاب: الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، حديث رقم (3004).

[10]- الإسلام بين الرسالة والتاريخ، (م. س)، ص44.

[11]- عبد المجيد الشرفي وآخرون، في قراءة النص الديني، الدار التونسية للنشر، (ط2)،1990م، ص20 وما بعدها.

[12] https://ar.qantara.d.20:59 ،2019/10/01

[13]- إنكار الاحتجاج بالسنة النبوية من الدعاوى التي هرف بها الشرفي في مشروعه الفكري، تصدى لنقضها الدكتور سامي العامري في كتابه الماتع جهالات وأضاليل، نقض افتراءات عبد المجيد الشرفي على السنة النبوية.

[14]- استدلال الشرفي بالسنة مع إنكاره لحجيتها، تناقض آخر يضاف إلى حصيلة التناقضات الشرفية.

[15]- ينظر ص 8 من البحث.

[16]- وهذا الموضوع محل اعتراض من الشرفي والحداثيين عموما، فالفكر الحداثي يرتبك هنا ويتخبط بين أن يثبت لفظ الكتاب الذي جاءت تسمية القرآن به ويفسره بالكتاب العلوي فيقع في إثبات الأصل السماوي المتعالي للقرآن وهو ما يفسد عليه القول بتاريخية تكوينه، وبين أن يثبت تاريخية تكوين القرآن لينفي القول بالأصل السماوي لكن يبقى أن إطلاق لفظ الكتاب على القرآن يتضمن إرادة الله تعالى تدوين القرآن في المصاحف، وأن القرآن معجز مقروءا ومكتوبا. فتفسد عليه حينئذ دعواه في أن تدوين المصحف عمل قام به الصحابة من عند أنفسهم لإثبات الرواية الرسمية وحذف ما عداها، ينظر: محمد بن حجر القرني، موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام، الرياض، البيان مركز البحوث والدراسات، الرياض، (ط1)1434هـ، ص343.

[17]- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، اعتنى به وخرج أحاديثه: عبد الحميد الدخاخني، المملكة العربية السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 1997م-1417هـ، (ط2)، 2000م-1421هـ، ص 5 وما بعدها.

[18]- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة،(ط1)، 1422هـ، كتاب فضائل القرآن ، باب كاتب النبي ﷺ، حديث رقم (4990).

[19]- محمد حسن حسن جبل، وثاقة نقل النصص القرآني طنطا، دار الصحابة للتراث، (د ط ت)، ص167 وما بعدها.

[20]- أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، حققه وخرج أحاديثه: حسين سليم أسد الدّاراني، دار المأمون للتراث، باب ما جاء في بعثته ﷺ وعمومها ونزول الوحي، حديث رقم (13938)، رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات، ص257.

[21]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي وشركاؤه، (ط3)، (د ت). ج1، ص246.

[22]- محمد محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، المكتبة العربية السعودية، دار اللواء، الرياض، (ط3) ،1407هـ-1987م، ص268.